على هـذا فى أدب وكياسة ، فلما تبين للرسول صواب رأى نصيره أخذ به

إن الروح التى أملت على التابع المتفانى فى حب نبيه اعتراض رأى هذا النبى ، والتى دعت النبى إلى قبول رأى أحد أتباعه ، هى روح استقلالية ، فلا خشية فى الحق من جانب الصحابى ولا تعصب للذات من جانب النبى

لما قبض النبى لم يتحيز أتباعه لأهل بيته ويختاروا أحدهم خليفة ، بل اختاروا أبا بكر لأنهم رأوا صلاح الجماعة فى ذلك الاختيار ، والروح التى أملت هذا إنما هى روح الاستقلال والحرية

خطب أعظم خلفاء محمد فى الناس فدعاهم جهرة إلى تقويم اعوجاجه إذا رأوه أعوج ، فرد أحد الحاضرين بقوله : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيوف »

رأى عمرو بن العاص أن تفتح مصر ، ولم يكن الخليفة عمر ابن الخطاب يرى رأيه . ولكن القائد أقنع الخليفة بصواب الفتح فزوده بالرجال ليمضى فى تنفيذ مشروعه ، ولكنه تخوف ثانية ، وبعث له يسترجعه ، وقدر عمرو ما فى الرسالة ، فلم يفضها ، ومضى فى سبيله حتى نزل أرض مصر . وأصبح مضيه أمراً لابد منه

والحادث يدل على عدم الاستبداد من جهة الخليفة ، وعلى الاستقلال والاعتماد على النفس والثقة بها من جانب القائد

ويطول بنا القول إذا ما حاولنا تقصى الحوادث التى من هذا النوع . فلنكتف بهذه الأمثلة للدلالة على أن نشأة العرب المستقلة ، وتعاليم الدين الحاضة على الحرية والمساواة والاعتماد على النفس ، جمعت فى العرب الاستعداد الفطرى بحكم النشأة الأولى والتعليم الرشيد ، والايمان القوى بالعقيدة الاسلامية ، وحسن تفهمها ؛ فسادوا العالم فى سرعة أدهشت المؤرخين ، ونشأت أمة عربية ، قوية الأركان ، شامخة البناء

وفى كل عصر ، وفى كل بيئة تنجح الجماعة إذا سادت الحرية فى تصرفاتنا مع الغير وفى تناول ذواتنا ، أعنى حرية الجهر بالرأى والانطلاق من قيود التعصب للذات . بهاتين الصفتين نجح العرب وتقدموا وسادوا ، وبهما تقدم الانكليز وقويت شوكتهم وسادوا ، وبالاستمساك بهما تقوى ونسود ؛ فالتاريخ القديم والحديث مزدحمان بالأدلة على أن التربية الاستقلالية هى أقوى دعائم الأمم ، وإذا كان هذا أمرها فما سبيلها ؟

« يتبع » محمد عبد الباري

الملك أحمد فؤاد الاول

كمسلم وعالم

للأستاذ عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمى العربى

لما نعى الناعى المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول عاهل مصر العظيم ملك الحزن على مشاعرى وأخذ اليأس من نفسى كل مأخذ ، لا لأنى من الذين تربطهم به أو بمملكته رابطة شخصية فيريد أن بنى بعض حقهما عليه ، ولا لأنى أبتغى من وراء اصطناع الأسى أجراً أو شكوراً ، بل لأنى من أولئك المسلمين الذين يقدرون مصر الاسلامية حق قدرها ويعتبرونها اليوم أم البلاد وقبة الاسلام ومنبثق النور وبلد العلم فى العالم العربى ، وأن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها مدينون لها ولمسجدها الأزهر منذ ألف عام فهم يستنيرون بنورها ويستهدون بهديهما ، ولذلك يرون لزاماً عليهم أن يعنوا بشؤون مصر ومصيرها وأن يشاركوها فى سرائها وضرائها ، ولأنى بدافع من هذه الدوافع الكثيرة من الذين سمعوا وعرفوا من خلال الملك الراحل وخصاله الغر الميامين ما يستحق الاجلال والاكبار من الناحيتين الاسلامية والعلمية فلم أتمالك عن كتب هذه السطور التى هى نفثة مصدور فأقول :

الملك أحمد فؤاد كمسلم

منذ نصف قرن ونيف والاسلام تتجاذبه عوامل الأخذ والرد بسبب هذه الثقافة الجديدة التى يظن حملتها أن لا بأس من ادخال التطور فى جميع مناحى الحياة حتى فيما يتعلق بالعقائد والأديان والعرف والعادة حتى رأينا من بعض الأمم الاسلامية بعض الشذوذ تحت ستار التمدن فصار الالحاد مدنية ونبذ العقيدة رقياً ، وأخذنا نسمع بما لم نألفه من نظريات علمية هدامة تنكر الله والرسل وسارت بعض الأمم شوطاً فى هذا المضمار الشائك الذى سينتهى بها حتماً إلى الهاوية وبئس المصير

فى مثل هذه الحوائق اعتلى عرش مصر الملك المعظم فلم

تبطره بهرجة الملك ، ولم تؤثر على عقيدته تلك النزعات والنزغات بل ظلّ على اسلامه الصحيح وعقله الرجيح

وإذا اعتبرنا أنه رحمه الله تعالى قضى أيام شبابه فى بيئة أجنبية أيام دراسته فى معاهد الغرب الكبرى التى لا تمت إلى الاسلام بصلة فان بقاءه مستمسكاً بعروة دينه محتفظاً بيقينه كان من نعم الله عليه وحجته على قوة إرادته

وإن ننسَ فلن ننسى له المحافظة على زيه الشرقى فى عواصم الغرب بينما نرى بعض ملوك المسلمين وأقيالهم يقلدون الغربيين تقليداً أعمى حتى بلغ من بعض ملكاتهم النسج على منوال الملكات الغربيات والظهور بمظهر المدنيات الراقيات ، وليس فى ذلك من رقىٍّ ولا مدنية ، بل فيه خروج على التقاليد واللياقة وطعن فى صميم الكرامة وتبذّل غير محمود

فالملك فؤاد افتعد الذروة فى هذا الخلق الاسلامى الكريم وضرب مثلاً أعلى للمسلمين ملوكهم وسوقتهم

الملك أحمد فؤاد كعالم

لو أننا تركنا جميع مآثر الملك المرحوم العلمية جانباً واقتصرنا فقط على أثره الخالد وهو لا يزال فى الامارة نعنى به الجامعة المصرية التى كان أول العاملين لها والحادبين عليها لكفاه شرفاً ونبلاً

فهذه الجامعة التى ترأسها وتعهّدها وصرف من قوى نفسه ونفيسه على نموّها وازدهارها هى مفخرة المفاخر بما قدّمته لمصر من الخدم العلمية الجلّى . وها نحن أولاء نرى ثمارها دانية القطوف على أيدى أساتذة جهابذة يخرجون لنا فى كل عام مئات من الناشئين يملأون أرض الكنانة وبلاد العرب علماً وحكمة

والحق أن الجيل المصرى الذى عاصر أيام حياة الملك المرحوم كان سعيد الحظ بما وجد أمامه من السهلات والمشوقات والمرغبات العلمية الكثيرة

وأنا كرجلٍ يُعنى بالتاريخ الاسلامى أذكر للمليك الراحل عمله المشكور فى تدوين تاريخ رسمي للدولة المصريّة ، فقد أمر رحمه الله تعالى بتأليف لجنة لهذا الغرض ووضع تاريخ يستخرج من الدفاتر والوثائق الرسميّة ، وكان صديق المرحوم أحمد تيمور باشا من أعضاء هذه اللجنة ، وهو الذى أعلمنى بذلك فى حينه

وكان من دواعى الغبطة للمؤرخين الاسلاميين ظهور مجموعة عزيزة المنال ، تتضمن الأوامر الصادرة من حكام مصر إلى عامل الواحات من زمن الفاطميين إلى زمن الخديو اسماعيل رحمه الله تعالى ، وهى الأوامر نفسها لا صورها

يقول المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه لى : « ولا أظنّ نظيراً لهذه المجموعة فى الدنيا ، وقد بحثت عن سبب حفظ هذه الأوامر جميعها كل هذه المدة فى تلك الجهة النائية ، فأخبرت أن العادة فيها من القديم أن يُحفظ كل ما يصدر من الحكام إلى عاملها فى مكان خاص بالمحكمة الشرعية ، وبهذا تيسر حفظها . وقد رأيت بها من توقيعات الملوك كالغورى وغيره الشىء الكثير ، وكذلك توقيعات حكام الفرنسيس مدة احتلالهم لمصر وهى بالأفرنجية ، ولكن الأوامر بالعربية ، ولا أخفى عليكم أنى متلهف إلى الآن إلى صورة شمسية من هذه المجموعة ، ولكن « فيا دارها بالخيف » . اهـ

إن من حسن توفيق الله ظهور هذه الوثائق الاسلامية على يدى المرحوم الملك ، فلولا تفكيره فى تدوين تاريخ رسمى للدولة المصرية لما استطعنا الوصول اليها ، ولا الوقوف على تفكير أول قاض شرعى وضع الأساس فى جمع هذه الوثائق والمستندات القيمة فى تلك البلاد النائية البعيدة عن العمران المزورّة عن مدنية هذه الأيام

وأظن أن المساعى المتواصلة التى بذلت فى شأن هذا التاريخ قد أنتجت نشر أجزائه الأولى باللغة الفرنسية وستتبعها النسخ التركية والانكليزية والعربية طبعاً

إن مثل هذا الملك القوى العقيدة ، الراسخ الايمان ، العالم العامل البعيد مدى التفكير ، مما يُبكى عليه ، ويُحزن لفقده . ولكن فى خليفته وخلفه جلالة فاروق الأول خير عوض ، وأحسن عزاء لنا ، ورحم الله الشاعر العربى الذى قال فى حالة تشبه حالتنا هذه :

هَناءٌ محا ذاك العزاء المقدما ... فالبث المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام فى ثغور مدامعٍ ... شبيهان لا ينفكّ ذا الشبه منهما

عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمى العربى